(سورة الفجر)

{ وَٱلْفَجْرِ } { وَلَيَالٍ عَشْرٍ }

{ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ } { وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ }

{ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ }

أقسم بابتداء ظهور نور الروح على مادة البدن عند أول أثر تعلقه به { وليال عشر } ومحال الحواس العشرة الظاهرة والباطنة التي تتعين عند تعلقه به لكونها أسباب تحصيل الكمال وآلاتها { والشفع } أي: الروح والبدن عند اجتماعهما وتمام وجود الإنسان الذي يمكن به الوصول { والوتر }

أي: الروح المجرّد إذا فارق{ والليل إذا يسر } أي: ظلمة البدن إذ ذهبت وزالت بتجرّد الروح فيكون الإقسام بالمبتدأ والمنتهى أو بالقيامة الكبرى وآثارها

أي: والفجر الذي هو مبتدأ طلوع نور الحق وتأثيره في ليلة النفس وليال عشر من الحواس الراكدة الهادئة المظلمة المتعطلة عن أشغالها عند تجلي النور الإلهي والشفع الذي هو الشاهد والمشهود قبل تجلي الفناء التام حال المشاهدة في مقام الصفات، والوتر أي: الذات الأحدية عند الفناء التام وارتفاع الاثنينية، والليل أي: ظلمة الأنائية إذا ذهبت وزالت بزوال البقية أو بالقيامة الصغرى أي: فجر ابتداء ظهور نور الشمس الطالعة من مغربها.

{ وليال عشر } أي: الحواس المتكدّرة المظلمة عند الموت، { والشفع } أي: الروح والبدن، { والوتر } أي: الروح المفارق إذا تجرّد، { والليل إذا يسر } ، والبدن إذا انقشع ظلامه عن الروح وزال بالموت.

{ هل في ذلك قسم لذي حجر } استفهام في معنى الإنكار، أي: هل عاقل يهتدي إلى الإقسام بهذه الأشياء ووجه تعظيمها بالقسم بها وحكمة انتظامها في قسم واحد وتناسبها فإن عقول أهل الدنيا المشوبة بالوهم لا تهتدي إلى ذلك.

{ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ }

{ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ }

{ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَادِ }

{ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ }
{ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلأَوْتَادِ }
{ ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلاَدِ } { فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ }
{ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ }
{ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ }

وجواب القسم ليعذبن المحجوبون لدلالة قوله: { ألم تر كيف فعل ربّك بعاد } إلى قوله: { لبالمرصاد } عليه أو في معنى التقرير أي: إنما يهتدي إلى ذلك أولو الألباب الصافية المجرّدة عن شوب الوهم. وجواب القسم: ليثابنّ العقلاء المعتبرون بحال المحجوبين دونهم.

{ فَأَمَّا ٱلإِنسَانُ إِذَا مَا ٱبْتَلاَهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ }
{ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلاَهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ }
{ كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ }
{ وَلاَ تَحَآضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ }
{ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً } { وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبّاً جَمّاً }
{ كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ ٱلأَرْضُ دَكّاً دَكّاً } { وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً }
{ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ }
{ يَقُولُ يٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي } { فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ }
{ وَلاَ يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ }

{ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربّه } أي: الإنسان يجب أن يكون في مقام الشكر أو الصبر بحكم الإيمان لقوله:

« الإيمان نصفان، نصف صبر ونصف شكر » ،

لأن الله تعالى لا يخلو من أن يبتليه إما بالنعم والرخاء فعليه أن يشكره باستعمال نعمته فيما ينبغي من إكرام اليتيم وإطعام المسكين وسائر مراضيه ولا يكفر

نعمته بالبطر والافتخار فيقول: إن الله أكرمني لاستحقاقي وكرامتي عنده، ويترفه في الأكل ويحتجب بمحبة المال ويمنع المستحقين، أو بالفقر وضيق الرزق فيجب عليه أن يصبر ولا يجزع ولا يقول: إن الله أهانني، فربما كان ذلك إكراماً له بأن لا يشغله بالنعمة عن المنعم ويجعل ذلك وسيلة له في التوجه إلى الحق والسلوك في طريقه لعدم التعلق كما ان الأول ربما كان استدراجاً منه.

{ إذا دكّت الأرض } أي: البدن بالموت { دكّاً دكّاً } متفتتاً { وجاء ربّك } أي: ظهر في صورة القهر لمن برز عن حجاب البدن بالمفارقة { والملك صفّاً صفّاً } أي: ظهر تأثير الملائكة من النفوس السماوية والأرضية المترتبة في مراتبهم في تعذيبه بعدما كان محتجباً عنهم بشواغل البدن.

{ وجيء يومئذ بجهنم } أي: برزت نار الطبيعة وأحضرت للمعذبين.

{ يومئذ يتذكر الإنسان } خلاف ما اعتقده في الدنيا وصار هيئة في نفسه من مقتضيات فطرته فإن ظهور الباري بصفة القهر والملائكة بصفة التعذيب لا يكون إلا لمن اعتقد خلاف ما ظهر عليه مما هو في نفس الأمر كالمنكر والنكير { وأنى له } فائدة { الذكرى } ومنفعته فإن الاعتقاد الراسخ يمنع نفع هذا التذكير.

{ يٰأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ }

{ ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً }

{ فَٱدْخُلِي فِي عِبَادِي } { وَٱدْخُلِي جَنَّتِي }

{ يا أيتها النفس المطمئنة } التي نزلت عليها السكينة وتنوّرت بنور اليقين فاطمأنت إلى الله من الاضطراب { ارجعي إلى ربّك } في حال الرضا، أي: إذا تمّ لك كمال الصفات فلا تسكني إليه وارجعي إلى الذات في حال الرضا الذي هو كمال مقام الصفات والرضا عن الله لا يكون إلا بعد رضا الله عنها، كما قال:

{ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ } [المائدة، الآية:١١٩].

{ فادخلي في عباي } في زمرة عبادي المخصوصين بي من أهل التوحيد الذاتي { وادخلي جنّتي } المخصوصة بي أي: جنّة الذات وقرىء في عبدي وقرىء في جسد عبدي أي: حالة البعث والنشور وردّ الأرواح إلى الأجساد، والله أعلم.